﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرّعد: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرّبـط بـينَ الـوفـاء بعهد الله، والصّفات المُنبثقة عنه، كـالـصّـلـة والخشية

لمّا ذكر الله تعالى في الآية السّابقة مِن صفات أولي الألباب، أنّهم ﴿يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾، وكانت هذه الصّفة أصلًا تترجمُه صفاتٌ أُخرى متفرّعةٌ عنها؛ ككونهم ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾، أرْدفَها هنا بفرعين آخرين، يعودان إلى الوفاء بعهد الله، هما: أنّهم يَصلونَ ما أمر الله بوصله، وأنّهم يخشون ربّهم، ويخافون عقابَه يومَ الحساب.

وكذلك أيضًا: لمّا كان قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ مقتضيًا أنّه لا ينضوي تحت وصف (أولي الألباب)، إلّا مَن كانوا مؤهّلين لذلك، ذكر هنا بعضَ الصّفات الّتي مكّنتهم مِن هذا الوصف، فكان مِن جملتها: أنّهم يَصِلون ما أمر الله بِوَصْلِه، وأنّهم يخشون ربّهم، ويخافون عقابَه يومَ الحساب.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَصِلُونَ﴾: الاتّصالُ ضِدُّ الانفصالِ والتّركِ والهِجران، و"(الْواوُ والصّادُ واللّامُ): أصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على ضَمِّ شَيْءٍ إلى شَيْءٍ حَتَّى يَعْلَقَهُ"[1]، ومعناه: اتّحادُ الأشياء ووصلُ بعضِها ببعض، كاتّحاد طرفي الدّائرةِ، ويُستَعمل الوَصْلُ في الأعيان والمحسوسات، كما يُستَعمل في المعاني[2]، ومِن استعماله في المعاني كلمة ﴿يَصِلُونَ﴾ في الآية؛ إذِ المُرادُ بها هنا مُلازمةُ المُكلَّفِ لأوامر الله، وبلوغُه مرادَ الله منها علمًا وعملًا وانقيادًا.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وصل).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (وصل).

2) ﴿وَيَخۡشَوۡنَ﴾: الخشية: خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ. "(الْخاءُ والشّينُ والحَرْفُ المُعْتَلُّ): يَدُلُّ على خَوْفٍ وذُعْرٍ"[1]؛ فالخشيةُ وإن كانت تعود في معناها إلى الذُّعْر والخَوف، لكنّها في واقعِها هي أشدُّ أنواعِه وأخصّها، فهي خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ للمَخْشي، كأثرٍ للعِلْم بمقامه العظيم[2]. وعلى هذا فمعنى: ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ يخافون ربَّهم خوفَ إجلالٍ وتعظيم ومهابةٍ.

3) ﴿وَيَخَافُونَ﴾: الخوفُ ضِدّ الأمن، و"(الخاءُ والواوُ والفاءُ): أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على الذُّعْرِ والفَزَعِ، يُقالُ: خِفْتُ الشَّيْءَ خَوْفًا وخيفَةً، والياءُ مُبْدَلَةٌ مِنْ واوٍ لِمَكانِ الْكَسْرَةِ"[3]، وأصله: يدلّ على الذُّعْرِ والفَزَعِ مِن شيءٍ ما، سواء كان هذا الشّيء المَخوفُ مُتعلّقًا بالأمور الدّنيويّة أو الأُخرويّة، وحقيقتُه: أنّه شعور ينتاب الإنسانَ عند توقّع حلولِ مكروهٍ، أو فواتِ محبوبٍ، عن أمارةٍ مظنونةٍ أو معلومة، ولذا قوبِل بينَه وبينَ الرّجاء في قوله تعالى: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: 57]، مِن حيثُ إنّ الرّجاء ينشأ عن توقّع محبوبٍ عن أمارَة مظنونة، أو معلومة[4]. ومعنى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾، أي: يفزعون منه وجلًا وذُعْرًا، ومِن ألّا يكونوا مِنَ المقبولين.

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

تقديمُ أعمالِ البِرّ، وصِلة الأرحام، إخلاصًا لله، وخشيةً منه وخوفًا

بيّنت هذه الآيةُ أنّ مِن صفات أولي الألباب، الموفين بعهد الله: أنّهم يَصِلون أنفسَهم وأعمالَهم، بكلّ ما أمر الله به أن يوصَل مِن أعمال البِرّ والمعروف، فيستجيبون لأوامر الله ورسوله، ومِن ذلك أنّهم يَصِلون أرحامَهم، ويعودون مَرضاهم، ويُحسِنون إلى كلّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خشي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (خشي)، وابن الهائم، التبيان، ص: 82.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خوف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (خوف)، والجرجانيّ، التّعريفات، ص: 101.

مُسْتَحِقّ للإحسان مِنَ النّاس، بما يَستَحِقّه أو يزيد، يفعلون ذلك حُسْبَةً لله، وخَشْيَةً منه، وهَيْبةً لجلاله، وتعظيمًا له، وخوفًا مِن عقابه يومَ الحساب، لو أنّهم خالفوا أمرَه، أوِ انتهَكوا حُرماتِه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيّ:

دلالة الواو العاطفة:

وصل ما أمر الله به أن يوصل، من جملة الوفاء بعهد الله

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾، الواو عاطفة لجملة الصّلة، على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾، باعتبارها فرعًا مِن فروعها، وأثرًا مِن آثارها.

سرّ تكرار اسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

لكلّ صفة فُضلى قيمةٌ مستقلةٌ عُليا، تمتاز بها وتتحدّد

أُعيدَ اسْمُ المَوْصولِ تنويهًا بشأن ما في حَيّزه مِن جملة الصّلَة، وما عُطِف عليها مِن صفات؛ ولبيان أنّها بذاتها جديرةٌ بالاهتمام، وأنّها لعَظَمتِها كافيةٌ في مدح مَنِ اتّصف بها، والاهتمام به، وأيضًا لِدَفْعِ تَوَهُّم أنَّ عُقْبَى الدّارِ لا تَتَحَقَّقُ لَهُم إلّا إذا جَمَعوا كُلَّ هَذِهِ الصِّفاتِ[1].

دلالة الإتيان بالفعل ﴿يَصِلُونَ﴾ بعد ﴿يُوفُونَ﴾:

فائدة عطف الخاصّ على العامّ، وأثره في السّياق

دلّ الإتيان بصفة الوصل، بعد الوفاء بالعهد، في قوله: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ ومقدِّمًا إيّاها على جملة الصّفات الأُخرى، دلّ على كونها أدخلُ الصّفاتِ في معنى الوفاء بالعهد، وأبرزُ وأخصّ ما يُعَبّر عنها، وهو من باب عطف الخاصّ على العامّ؛ وفيه بيانٌ لأهميّة هذا الخاصّ.

سرّ اختيار الفعل ﴿يَصِلُونَ﴾ دون غيره:

التّعبير بلفظ (يَصِلون)، أدلُّ على التّمكّن وعلى العموم

في قوله تعالى: ﴿يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، أوثِرَ التّعبيرُ بالوصل على غيره؛ لكونه أدلَّ على شِدّة الالتصاق والالتحام، بما أمر الله بوصله والالتزام به بلا محيدٍ عنه، ثمّ لكونه لفظًا شاملًا، يشمل معناه كلّ ما أمر الله به من حقوق النّاس بعضِهم على بعض،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/126.

فيدخلُ فيه مِنَ التّفاصيل صلةُ الأرحامِ، وموالاةُ المؤمنين، والإيمانُ بجميع الأنبياء، وجميعُ حقوقِ النّاس، وسائرُ الأواصرِ والعلائق الّتي أمرَ الله بالمودّة والإحسان لأصحابها[1].

بلاغة الاستعارة التّبعيّة:

مُجمَلُ البرّ بالنّاس، مشمولٌ في كلمة الوصل، ومستوعبٌ فيها

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، دلّتِ الاستعارةُ التّبعيَّة في قوله: ﴿يَصِلُونَ﴾ على كافة أنواع القُرْب مِنَ النّاس، والإحسانِ إليهم، والتّلَطّفِ في معاملتهم، ومُراعاةِ حقوقِ الله فيهم؛ بمنحِهم حقوقَهم وعدمِ هضمِها، فالوصلُ في حقيقته يكون للأشياء المحسوسة، ومجازًا في غير المحسوس.

دلالة التّعبير بـ ﴿مَآ﴾ دون (الّذي):

لا تفريقَ في الطاعة بينَ أوامر الله، فكلٌّ قطعيّ الدّلالة، واجبُ التّطبيق

دلّ التّعبيرُ بـ ﴿مَآ﴾ دون (الّذي) في قوله تعالى: ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ على شُمول المأمورِ به وعمومِه، دونَ تعيين أمر معيّن، حتّى يَعُمّ جميعَ وجوهِ الصّلة مِنَ الأرحام والقرابات، ويدخلَ فيه وصلُ قرابةِ رسولِ الله ﷺ، وقرابةِ المؤمنين الثّابتةِ بسبب الإيمان بالإحسان إليهم، ونصرتِهم، والذّبِّ عنهم، والشّفقةِ عليهم، والنّصيحةِ لهم، إلى غير ذلك مِن وجوه الصّلة[2].

دلالةُ جملة الصّلةِ:

المدحُ بالوصل إطنابًا وتعريضًا، مِن فصيح البيان

وإنّما أطنب مادحًا في التّعبير عن صفة الوصل، فقال: ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، ولم يكتف بقول: ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾؛ لما في الصّلة مِنَ التّعريض بأنَّ واصِلَها آتٍ بما يُرضي الله، ففيها ثناءٌ على المؤمنين، بأنّهم يصلون الأرحام، وأنّهم لم يقطعوا أرحامَ قومِهم المشركين، إلّا عندما حاربوهم وناوَؤوهم.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/186، والشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي: 5/224، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/127.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/503.

وفي هذا الإطناب أيضًا تمهيدٌ للانتقال بالثّناء على المؤمنين بوصلهم الأرحامَ، إلى ما ورد في الآية التّالية مِنَ التّعريض بالمشركين الّذين قطعوا أواصرَ القرابةِ بينَهم وبينَ رسول الله ﷺ؛ ومَن معه مِنَ المؤمنين، وأساؤوا إليهم في كلّ حال، وكتبوا صحيفةَ القطيعةِ مع بني هاشم[1].

دلالةُ التّعبير بالفعل ﴿أَمَرَ﴾ دون غيره:

مادّة الأمرِ دالّة على الحَتميّة بلا تأوّل

دلّ التّعبيرُ بمادّة الأمرِ دون صيغته، في قوله: ﴿أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، على وجوب وصْل ما أمر الله بوصلِه، بحيث لا يحتمل شيئًا آخرَ إلّا الوجوب، أمّا التّعبيرُ بالصّيغة فهو قابل بالقرائن، إلى أن يَؤولَ بالنّدب أوِ الإرشاد.

سرّ التّعبير بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّـهُ﴾، دون لفظ (الرّب):

كلّ الهيبة والجلال، في اسم (الله) ذي الجلال

دلّ التّعبير بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ﴾، على الهَيْبة والجلال؛ ليكون التّعبير به أدعى إلى التزام ما أمر الله بوصله.

دلالة التّعبير بالضّمير ﴿بِهِۦٓ﴾:

زيادة تقرير المقصود بالوصل، في سياق الجملة

دلّ التّعبير بالضّمير المجرور، في ﴿بِهِۦٓ﴾، بحيث لم يكتفِ بقوله: ﴿أَن يُوصَلَ﴾، على زيادة تقرير المقصود بالوصل، وهو الأرحام وما في معناه، بعد تقريره بالموصوليّة[2].

دلالة المصدر المؤوّل بدلًا مِنَ الصّريح:

أفضل الأعمال ما دام واتّصل، لا ما انقطع وانفصل

في إيثار المصدر المؤوّل ﴿أَن يُوصَلَ﴾، على المصدر الصّريح (بوصله)، فائدةٌ مترتّبة على المضارع ﴿يُوصَلَ﴾، وهي إفادة تجدّدِ النّشاطِ للوصل، لو اعتراه مِنَ العوائق ما يقطع استمرارَه[3]، أو مِنَ الصّوارف والشّواغل ما يُثَبّط الهِممَ نحوَه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/127.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/128.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/329.

دلالة عطف جملة ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾، على ما قبلها:

عـطـف الـعـامّ عـلـى الـخـاصّ لـلاهـتـمـام بالخاصّ

الوصل المطلوب هنا هو جزء من خشية الله، وداخلٌ فيها، وذلك مِن عطف العامّ على الخاصّ؛ اهتمامًا بشأن الخاصّ في إفراده بالذِّكر، وكأنّه قد أمر به مَرّة بالأمر الخاصّ، ومَرّة بإدراجه ضمن الأمر العامّ بالخشية.

سرّ التّعبير بلفظ (الخشية) دون غيره:

لا يُـخـشى إلّا الـعـظـيـمُ، وهو الأحقّ بالخشية والتّعظيم

عبّر في الإخبار عنِ الممدوحين بصفة الخشية لله، وليس بوصف الخوف أو غيره؛ إيغالًا في مدحهم بأنّهم لعلمهم بعَظَمة ربّهم، وتهيّبهم لجلاله، فهم ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ لأنّ الخشية: هي الخوف مع العِلْم بعَظَمة المَخْشي.

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾:

أولـو الألـبـاب الـمـوفـون بعهد الله، خشيتُهم لله مُتجدّدة

دلّ التّعبير بالمضارع ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾، على تجدّد خشيتِهم لله تعالى، حتّى لوِ اعتراها ما يُعطّلها حينًا؛ فإنّهم ينشطون لها مِن جديد، فهو" كناية عنِ الاستمرار"[1].

دلالة التّعبير بالرّبوبية دون الألوهيّة:

خشيتك لربّك، من جملة نعمه عليك

وإنّما كان التّعبير هنا بالرّبوبية الدّالّة على الشّفقة والرّحمة والإنعام، دون التّعبير بالألوهيّة الدّالّة على الهيبة والجلال؛ للدّلالة على أنّ خشيتهم لربّهم هي مِن إنعام ربّهم عليهم، وإحسانه إليهم، حيثُ وفّقهم إلى معرفة مقامه، وتهيُّب جلالِه، فقَدَروه قَدْرَه حتّى استحقّوا بذلك أن تكون تلك الخشية مِن مسوّغات مدحهم. وممّا يضاف إلى ذلك، أنّ لفظ الخشية، يحمل معنى الخوف العظيم؛ فجاء التّعبيرُ بلفظ الرّبوبيّة ليُخفّف حِدّة هذا الخوف. كما أنّ من مقتضيات التّعبير بالرّبوبيّة – أيضًا – طمأنةُ الخاشين؛ بإعذار الله لهم، لو اعترض طريقَ خشيتِهم لله ما يعوقه بعضَ الوقت؛ فإنّه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/128.

سبحانه لا يعاجلهم بعقوبة، ولا يغلق في وجههم أبوابَ العَودة إليه؛ بل يواصل إحسانَه إليهم، حتّى يعودوا إلى صوابهم.

دلالة الإضافة، في قوله: ﴿رَبَّهُمْ﴾:

في إضافة ضميرهم إلى (ربّ)، ما يقتضي شرفَهم، فهي إضافة تشريف وتكريم.

شرف الإضافة إلى الرّبّ، وكفى به فخرًا

دلالة العطف في قوله: ﴿وَيَخَافُونَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، نلحظ في ذِكْر جملة: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، وعطفِها استقلالًا على جملة: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، وعدمِ إدراجها ضمنًا في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، ما يدلّ على المغايرة بينَ مضمون الجملتين، ومع هذه المغايرة فقد جمعوا بينَ هاتين الصّفتين، المتفرّعةِ إحداهما مِنَ الأُخرى تفرّعَ الخاصّ مِنَ العامّ، فإذا كانت خشيتُهم لربّهم تعني مهابتَهم له، وتعظيمَهم إيّاه، فإنّ خوفهم مِن عقابه هو صفة أُخرى خاصّة، وإن كانت مِن لوازم الصّفة الأعمّ منها، وهي صفة الخشية لربّهم.

المغايرة بين معنى الجملتين المُتعاطفتين، تعميمًا وتخصيصًا

سرّ اختيار التّعبير بالفعل ﴿وَيَخَافُونَ﴾:

دلّ التّعبيرُ بالخوف مِن سوء الحساب، مغايرًا للتّعبير بالخشية مِنَ الرّب على اختلاف المقامين، فترجمةُ الخوفِ مِن سوء الحساب يوم القيامة، هو الالتزام بالتّكليفات، دونما زيادة مضرّة، أو مَنقَصَة مُخِلّة. أمّا الخشية؛ فترجمتُها التّعظيمُ والمهابةُ لله؛ لأنّه الله المُستَحِقّ لذلك، قبلَ النّظر إلى ثواب، أوِ الوجلِ مِن عقاب.

الالتزام بالتّكليفات، بوّابة الأمن يوم القيامة

دلالة التّعبير بالمضارع:

دلّ التّعبير بالمضارع في ﴿وَيَخَافُونَ﴾، على استمرارهم على طاعاتهم، وتجدّد نشاطهم حينًا بعد حين، حذرًا مِن عقاب يوم القيامة.

فضيلة الخوف من عقاب الله، في المداومة عليه

سرّ تقديم الخشية على الخوف:

مِن أسرار تقديمِ الخشية على الخوف، في قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ

الخشية أصل، والخوف فرع

﴿رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، أنّ الخشية مِنَ الله أصلٌ، والخوفَ مِن عقابه فَرْعُه، ولا وجودَ للفرع استقلالًا عن وجود الأصل.

سرّ اختلاف متعلّق الخشية والخوف:

التّعبير بالخشية دالٌّ على مهابة متعلّقها بخلاف متعلّق الخوف

إنّما جَعَل متعلّق الخشيةِ ﴿رَبَّهُمْ﴾، ومتعلّقَ الخوفِ ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، دون العكس؛ لما مضى ذِكْره مِن أنّ الخشية تعني: العِلْمَ بعظمة المَخشيّ لتَهَيُّبِه، وهو مناسبٌ لأن يكون متعلّقه ﴿رَبَّهُمْ﴾، ولمّا كان متعلّق الثّانية - وهو ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ - أقلَّ مكانة مِن سابقه، فقد ناسبه التّعبيرُ بالخوف.

سرُّ اختيار التّعبير بلفظ ﴿سُوٓءَ﴾:

السّوء ما يسوء الإنسان، وإن كان عند غيره خيرًا

أوثِرَ التّعبيرُ بلفظ ﴿سُوٓءَ﴾، في قوله تعالى: ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، دون أن يستخدم تعبيرًا آخر، مثل: (شرّ الحساب)؛ لأنّ التّعبير به هنا هو الأدلّ، فليس كلّ ما يَسوء يُسَمّى شرًّا، فقد يسوء الإنسانَ - مثلًا - قلّةُ الثّواب، أو عدمُ بلوغِ كمالِ المُراد، مع كونه ليس شرّا.

سرّ ذِكر كلمة ﴿سُوٓءَ﴾، دون الاكتفاء بـ (يخافون الحساب):

من دوافع العمل النّصّ على الجزاء

سرّ التّنصيص على هذا الوصف ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾؛ كونه تحذيرًا يحمل الدّافعَ لهم إلى ترك العمل السّيء، الّذي قد يؤول بهم إلى سوء الحساب.

دلالة حذف المضاف (يوم) وإبقاء المضاف إليه ﴿ٱلْحِسَابِ﴾:

سوءُ الحساب بتقدير الله، يكون شديد اللّأواء والعذاب

الحساب في الأصل العدّ، ثمّ أُطلق على عدّ الأشياء التّي يُراد الجزاءُ عليها أو قضاؤها، فصار الحسابُ يُطلق على الوفاء بالحَقّ، يقال: حاسبه، أي: كافأه أو دفع إليه حَقّه، ومنه سُمّي يومُ القيامة يومَ الحساب[1]، فهي تسمية دالّة على العدل والوفاء بالحَقّ، وهو اسم مدح.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/249.

وعليه، فلو قال: (سوء يوم الحساب) لجعل للعدل سوءًا، فلا يستقيم المعنى، ولا يتّفق ومقصودَ تسميةِ يوم القيامة بـ (يوم الحساب)، بما يحمله مِن معنى العدلِ، المقتضي المدحَ، كما سُمّي مدحًا أيضًا بـ (يوم الدّين) أي: يوم الجزاء. وخصوصًا أنّ السّياق في الآية مسوقٌ لمَدح الّذين يخافون ﴿سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾، أي: ما يَحتفّ به ممّا قد يسوؤهم، لا أنّه هو نفسُه يسوؤهم، ولذلك لمّا اختلف السّياقُ وكان المقامُ مقامَ ذَمّ للمُخْبَر عنهم، صرّح فيه باليوم فقال: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ [ص: 16]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: 26].

دلالة التّعبير بـ ﴿ٱلۡحِسَابِ﴾، دون العقاب:

أوثِر التّعبيرُ بـ ﴿ٱلۡحِسَابِ﴾ دون العقاب، في قوله: ﴿سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾؛ لأنَّ المقصود به ما يسوء الإنسان متزامنًا مع الحساب، وليس شرطًا أن يكون ما يسوء عقابًا، فقد يسوء الإنسانَ ما لم يبلغه مِن مراتب الكمالِ الّتي كان يطمح في الوصول إليها، وإن كانت تُعَدُّ عند غيره – ممّن لم يكن له نفس طموحه – مِنَ المَكرُمات، وأيضًا: هو أنّ العقاب نتيجةُ الحساب.

الحساب لا يعني العقابَ، ولكلّ منهما مسلكٌ وباب

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

الخشية والخوف:

لا شكّ أنّ بينَ الكلمتين تقاربًا دلاليًّا، فهما من بابٍ واحد، ومِن شِدّة التّقارب بينهما ظُنّ أنّ بينهما ترادفًا، وقد فُرِّق بينهما بما يلي:

الخشية أبلغُ دلالةً مِنَ الخوف، وأقرب إلى المقصود في السّياق

أولاً: قيل: إنّ الخشية أعلى مِنَ الخوف، وهي أشدّ أحوالِ الخوف، فإنّها مأخوذة من قولهم: شجرةٌ خشيَةٌ، أي: يابسة، وهو فواتٌ بالكليّة. والخوف من قولهم: ناقةٌ خَوْفاء، أي: بها داء، وهو نقصٌ وليس بفوات؛ ولذلك خُصّتِ الخشيةُ باللّه، في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾.

ثانيًا: وفُرِّق بينهما أيضًا بأنّ الخشية تكون مِن عِظَم المُختَشَى، وإن كان الخاشي قويًّا. والخوف يكون مِن ضعف الخائف، وإن كان المَخوفُ أمرًا يسيرًا[1].

ويدلّ لذلك أنّ (الخاء والشّين والياء) في تقاليبها، تدلّ على العظمة، نحو: شيخ: للسّيّد الكبير، وخَيْش: لما غَلُظَ مِنَ اللّباس، ولذا وردتِ الخشية غالبًا في حَقّ الله تعالى، نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 74] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28].

قال السّيوطيّ: "وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ ففيه نُكْتَةٌ لطيفة، فإنّه في وصف الملائكة، ولمّا ذَكَر قوّتَهم وشِدَّة خَلْقِهم عبّر عنهم بالخوف، لبيان أنّهم وإن كانوا غلاظًا شدادًا، فهم بين يديه تعالى ضعفاءُ، ثمّ أردفه بالفوقيّة الدّالّة على العَظَمة، فجمع بينَ الأمرين، ولمّا كان ضعف البشر معلومًا، لم يحتج إلى التّنبيه عليه"[2]، فالملاحظ أنّ الاختلاف بينَهما، راجعٌ إلى اختلاف المقام فيهما؛ فعند إرادة إظهار ضعفِ الخاشي، كما في جانب الملائكة، قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]، حتّى لا يتطرّق توهّمُ أنّ الملائكة أقوياءُ لا يَضْعُفون، وعند إرادة إظهار عظمة المَخشيّ، قال في جانب النّاس ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ لأنّ ضعف الإنسان محسوس لا يحتاج إلى تنصيص[3].

(1) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 428.
(2) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 2/363.
(3) الزّركشيّ، البرهان: 4/78 - 79.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»